

باب الحكاية

- اختلاف لغات العرب فى إعراب الاسم المحكى:

وتعني الحكاية عند النحاة: إيراد لفظ المتكلم على حسب ما أورده أو معناه^(١)، وهى إما حكاية جملة وتكون بعد القول وما تعرف منه فيحكى به لفظها أو معناها. وإما حكاية مفرد وهى ضربان:

١- حكاية اللفظ المفرد مع استفهام بأي أو من.

٢- حكاية بدون استفهام^(٢).

فإن كان الحكم على معنى اللفظ المحكى كانت شاذة كقول بعض العرب: دعنا من تمرتان لمن قال له: هاتان تمرتان، أما نفس اللفظ فلا^(٣).

ولم يقع اختلاف بين لغات العرب حول حكاية الجملة الاسمية أو الفعلية بعد القول أو ما تصرف منه.

إلا أن الاختلاف قد وقع بينهم حول حكاية الاسم المفرد، وهذا المفرد إما أن يكون علما أو غيره.

فإن كان علما فقد اختلف الحجازيون وبنو تميم حول حكايته:

فالحجازيون: قد يحكونه بعد من بشروط:

١- ألا يكون المسئول عنه منعوتا، إلا إذا وصف بآبن وأسقط تنوينه لوقوعه بين علمين.

٢- ألا يكون المسئول عنه مؤكدا.

٣- ألا يكون المسئول عنه مبدلا منه.

٤- ألا يكون المسئول عنه معطوفا عليه عطف بيان، ويستثنى منه إذا كان معطوفا.

(٢) أوضح المسالك ٦٢٥.

(١) شرح التصريح ٢: ٢٨٢.

(٣) حاشية الخضرى ٢: ١٤٢.

٥- ألا يدخل حرف العطف على «من».

فإذا توافرت هذه الشروط حكى الحجازيون هذا العلم على حسب إعرابه فيقولون: إذا قال الرجل: رأيت زيدا، من زيدا؟ وإذا قال مررت بزيدا قالوا: من زيد؟ وإذا قالوا: هذا زيد، قالوا: من زيد؟^(١) فيجعلون «من» في موضع رفع بالابتداء، وزيدا، وزيد، وزيد، في موضع الخبر، ويحكون، وتكون الحركة قائمة مقام الرفع التي تجب بخبر المبتدأ^(٢).

وقد يترك الحجازيون حكاية مثل هذا العلم مع اجتماع شروطه ويرفعونه على كل حال.

أما بنو تميم: فإنهم يرفعون هذا العلم في كل حال على الابتداء، والخبر، فيقولون في جواب من قال: رأيت زيدا ومررت بزيد، من زيد فيكون زيد مبتدأ، «ومن» خبره، وأجاز قوم غير ذلك والرفع القياس، إذ لا خلاف أن مستفهما لو ابتدأ السؤال لقال: من زيد؟ فمن على هذا مبتدأ، وزيد الخبر^(٣).

أما إن كان غير علم فإما أن يكون نكرة أو أيا أو من.

فإن كان نكرة: فقد نقل الأخفش أن بعض العرب يحكون النكرة فيقولون في من قال: رأيت رجلا، من رجلا؟ في النصب، وفي مررت برجل، من رجل؟ وهذا رجل من رجل؟ في الرفع.

أما «من».

فقد نقل معظم النحاة خلا يونس أنها في الوقت تجري على مذهبي^(٤):

١- مذهب اللغة الفصحى: وهو أن يحكى بها ما للمسئول عنه من إعراب وإفراد وتذكير وفروعها.

ففي الأفراد يقال: قام رجل فيقال: منو، ورأيت رجلا فيقال: منا، وفي مررت برجل: مني.

(١) الكتاب ١: ٤٠٣، شرح الكافية ٢: ٦٤ وما بعدها.

(٢) أسرار اللغة - ابن الأنباري: ٣٩٠. (٣) شرح المفصل ٤: ١٩.

(٤) شرح المفصل ٤: ١٩.

وفى المؤنث المفرد: منت، وفى تثنية المذكر: منان رفعا، ومنين نصبا وجرا.

وفى تثنية المؤنث: متتان رفعا، ومتتين نصبا وجرا.

وفى الجمع المذكر: منون رفعا، ومنين نصبا وجرا.

وفى جماعة الإناث: منات.

قالوا: وقد جاء على هذه اللغة قول شمير بن حارث الضبي^(١).

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ: مَنْوَنَ أَنْتُمْ فَقَالُوا: الْجِنُّ، قُلْتُ: عُمُوا ظَلَامًا^(٢)

٢- أما المذهب الآخر: فقد حكى ابن كيسان عن بعض البصريين أن من العرب من يحكي بمن إعراب المسئول عنه فقط، فيقال لمن قال: قام رجل أو رجلا أو رجال أو امرأة أو امرأتان أو نساء، منو فى الرفع، ومنا فى النصب، ومنى فى الجر، وكأن هؤلاء أرادوا أن يحكوا إعراب الاسم فقط وهو لغة لقوم من العرب^(٣).

٣- نقل عن يونس أن من العرب من يجيز الحكاية بمن فى الوصل وإلحاق الزيادات بها حيثئذ، تقول: منو يافتى، ومنا يا هذا، ومنى يا هند، ولا تنون، ومنه يا فتى فى الأحوال تشير إلى الحركة ولا تنون.

وفى التثنية:

منان، ومتتان، يا قوم بكسر النون.

ومنون ومنين يا فتى فتفتح النون، ومنات يا فتى فتضم التاء، وتنون فى الرفع وتكسر التاء وتنون نصبا وجرا.

(١) النوادر: ١٢٣

(٢) الجمل الكبرى: ٦٦، المقرب ١: ٣٠٠.

(٣) الهمع ٢: ١٥٢ وما بعدها، شرح اللمع ٢٩ وما بعدها.

(*) نسبة الضبي إلى جذع بن سنان الغساني على رواية من روى: صباحا وأما على الرواية المشودة فإنه ينسب إلى شمير بن الحرث الضبي، وعموا: أنعموا والشاهد: فى منون أنتم على ما حكاه يونس أن هذا مذهب لبعض العرب يثبتون الزوائد وصلا فى الحكاية بمن فيقولون منو يا فتى غير منون وكذا منا ومنى يكسرون نون المثنى ويفتحون نون الجمع ومنه قولهم: منون أنتم؟

وقد حكى يونس: أن هذه لغة لبعض العرب وهى قليلة^(١).

٤- أما أي: فيحكى بها وقفا ووصلا عاقلا أو غير عاقل والأفصح فيها مطابقة المحكي إعرابا وتذكيرا وإفرادا وتأنيثا وتثنية وجمعا فيقال: أي، أية، أيان، أيتان، أيون، أيات.

اختلاف لهجات العرب فى التذكير والتأنيث:

هما من الألفاظ المتغيرة. فالتذكير: ضد التأنيث من جهة المعنى.

أما عند النحويين: فالتأنيث: يعني إلحاق علامة ما من علامات التأنيث بالاسم أو الفعل المسند إليه ذلك الاسم.

أما التذكير: فهو خلوهما من تلك العلامات أو واحدة منها، وأشهر تلك العلامات عند بعض النحويين: الهاء التي تكون فرقا بين المذكر والمؤنث والتاء وألف التأنيث المقصورة والممدودة، والكسرة عند بعضهم^(٢).

ويرى بعض الباحثين المحدثين: أن هذه العلامات ليست فى الحقيقة إلا علامات للمبالغة تفيد الكثرة، ولذا نراها فى كلمات مذكرة من مثل علامة وفهامة، كما نراها فى بعض الجموع مثل قتلى وجرحى.

ومن خلال ما وصل إلينا من كلام العرب نجد أنهم لم يسيروا فى هذا الشأن على نسق مطرد:

١- فهناك قبائل عرف عنها التأنيث ربما فى معظم الكلام ككنانة مثلا حتى قيل^(٣):

أنا رجل جانبتى صأصأة اليمن^(*)، وعنعة تميم وأسد وكشكشة ربيعة، وتأنيث كنانة.

(١) الهمع ٢: ١٥٣.

(٢) المذكر والمؤنث - الفراء: ٥٧، شرح المفصل ٥: ٨٩، أوضح المسالك: ٦٢٨.

(٣) أبو زيد محمد بن أبى الخطاب - جمهرة أشعار العرب: ٨٦.

(*) صأصأة اليمن: أي كلامهم الشبيه بصأصأة الطير.

٢- وهناك ألفاظ يؤنثها الحجازيون ولكن التميميين يذكرونها والعكس .

٣- وقد تختلط فى منطق القبائل العربية فتختلف فيها من حيث التذكير والتأنيث .

٤- وقد يختلف أبناء قبيلة ما فى طريقة تذكير أو تأنيث بعض الألفاظ .

٥- وهناك ألفاظ ذكرت عند بعض العرب وأُنثت عند آخرين ، وذلك باعتبار مسمياتها والأسماء التى تطلق عليها إلا أنها لم تعز إلى أصحابها .

والتأنيث واجب عند النحاة العرب فيما إذا أسند الفعل إلى فاعل مؤنث حقيقى التأنيث فتلحقه تاء ساكنة فى آخر الفعل الماضى ، وتاء المضارعة فى أول المضارع ، ويكون ذلك فى مسألتين :

١- أن يكون ضميرا متصلا : كهند قامت ، وزينب قعدت .

٢- أن يكون متصلا حقيقى التأنيث نحو : خرجت فاطمة^(١) .

أما فيما عدا ذلك فإنه يجوز فيه الأمران -التذكير والتأنيث- بناء على ما أثر عن العرب وذلك فى مسائل :

١- المؤنث غير الحقيقى «المجازي» : وهو مما لم يكن بإزائه ذكر من الحيوان كالقدر والسكين والنعل . . . إلخ ، من الأشياء الجامدة ، فإذا أسند الفعل إلى شيء منه ظاهرا فإنه يجوز إلحاق الفعل علامة المؤنث وتركها وإن لم يفصل بينه وبين هذا المسند فاصل^(٢) ، «ويرى بعض المحدثين»^(٣) أن الاختلاف فى تذكير هذه الألفاظ أو تأنيثها لا يمت إلى المنطق العقلي بصلة ، ولعل ذلك إنما يرجع إلى أن الخيال السامي الخصب قد شغص الأشياء الجامدة وجعل منها أناسا ثم تصور فى بعضها تأنيثا وفى البعض الآخر تذكيرا ، ونسب التأنيث إلى كل ما لم يستطع له تفسيراً متأثرا فى ذلك بعوامل دينية وبأخرى مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة التى جعلت من المرأة سحرا وغموضا ونسبوا إليها من القوى الخارقة ما لم يخطر ببال

(١) شرح التصريح : ١ : ٢٧٧ . - (٢) شرح المفصل ٥ : ٩٣ .

(٣) من أسرار اللغة : ١٦٢ وما بعدها .

من جاءوا بعدهم ثم ضموا إلى المرأة كل ظواهر الطبيعة التى خفي عليهم تفسيرها ودق على أذهانهم فهمها بجامع الغموض والسحر فى كل، وقد أدى ذلك إلى اعتبار بعض الأسماء مؤنثة لأنها تعبر عن ظواهر غامضة ليس من السهل عليهم تفسيرها، وأشبهت لهذا فى أذهانهم ما أحاطوا به المرأة من سحر وخرافة، ومن تلك الكلمات كل ما عبر عن الأرض وأجزائها كالطريق والبئر ثم الجهات الأربع، ومعظم مظاهر الطبيعة من ريح وسحاب ومطر، وأخيرا تلك الأسماء التى تدل على الممالك والمدن وأجزاء الجسم والأسلحة والحجارة وبعض الحيوان، والعلة التى تدور فى فلكها فكرة التأنيث عند الإنسان السامي الأول إنما كانت تكمن وراء صفة التوالد والإنتاج -أي التكاثر- وهى أخص الصفات التى تتميز بها المرأة من الرجل فحينما وجدت شيئا من الموجودات قد اتصفت بهذه الصفة من قريب أو بعيد فالتأنيث أليق جنسا به^(١).

٢- إذا أسند الفعل إلى مضمّر مؤنث سواء أكان حقيقيا أو غير حقيقي فإن القياس عند جمهور العرب إلحاق علامة الفاعل إذا أسند إلى ضمير تثنية أو جمع نحو: الزيدان قاما، والزيدون قاموا، إلا أنه يعتقد أن بعض العرب قد تجترأ على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه الهاء^(٢) كما قال عامر بن جوين الطائي:

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا(*)

وقال الآخر:

إِذْ هِيَ أَحْوَى مِنَ الرَّبْعِيِّ حَاجِبِهِ وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِدِ الْحَارِي مَكْحُولٌ(**)

(١) لهجة تميم ص ٢٨٠ - نقلا عن أحمد شوقي بدوي النجار فى رسالته عن التذكير والتأنيث ١٣٠.

(٢) شرح المفصل ٩٤: ٥.

(*) البيت لعامر بن جوين الطائي - والمزنة: السحابة المثقلة بالماء. والودق: المطر. وأبقل: أنبتت البقل يقال أبقل المكان فهو باقل.. والشاهد: ولا أرض أبقل.. حيث ذكر الفعل مع إسناده إلى الأرض وهى مؤنثة.. وأوله بعضهم على أن ذلك إنما حصل لأن الأرض مكان فكأنه قال ولا مكان أبقل وهو مذكر.

(**) البيت لطفي الغنوي... والأحوى: الطيبى الذى فى ظهره خطوط سود مأخوذ من الحوة وهى السواد -والربيعي: منسوب إلى الربيع وهو المولود فى الربيع، وكذلك الحاري: نسبة إلى الحيرة. والشاهد فى قوله: والعين بالاثمد مكحول... حيث أخبر بمكحول وهى وصف مذكر عن العين وهى مؤنثة، وذلك مراعاة للمعنى فهى بمعنى الطرف.

فحذف علامة التأنيث مع إسناد الفعل إلى ضمير المؤنث وذلك قبيح^(١).

ومثله قول الأعشى:

فَإِمَّا تَرِينِي وَلِي لَمَّةٌ فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَوْدَى بِهَا^(*)

ولذلك نظائر في لغات العرب^(٢)، ستأتى.

٣- ويرى النحاة أن اسم الجنس: تدخله التاء للفرق بين الجنس والواحد كثيرا، ولعكسه قليلا، وتكون فى المخلوقات دون المصنوعات نحو: ضربة وضرب، وقتلة وقتل، لأن الضرب جنس يعم القليل والكثير، وضربة للمرة الواحدة.

ومنه: بطة وبط وحمامة وحمام، وذكر أبو بكر السراج هذا القسم مفردا لأنه يقع فى الحيوان للفرق بين الواحد والجمع فيدخل فى علم الجنس من هذه الجهة وينفصل منه لأنه فى الحيوان لا يراد به الفرق بين المذكر والمؤنث فى الجنس كمرء ومرأة^(٣).

والتأنيث فى اسم الجنس مذهب لبعض العرب، والتذكير فيه لغة لآخرين - وسيأتى.

٤- كل جمع واحده على بنائه من لفظه وتلحق به تاء التأنيث لتمييز واحدة من جمعه فإنه يقع الاسم فيه للجنس كما يقع للواحد، فإذا وصف جاز فى الصفة التذكير على اللفظ والتأنيث على تأويل معنى الجماعة، ويصح جمع صفته مكسرا ومصححا نحو قوله تعالى: ﴿وَيَنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾.

ويقع على الحيوان كما يقع على غيره نحو حمامة وبطة وبط وشاة وشاء^(٤).

(١) شرح المفصل ٥: ٩٤.

(*) البيت من قصيدة للأعشى ميمون بن قيس يمدح فيها قيس بن معدى كرب الكندي ويزيد بن عبد المدان ابن الزيان الحارثي... الديوان: ١٢٠ وما بعدها، واللمة: الشعر يلم بالمنكبين فإذا زاد عن ذلك فهو الجملة. والحوادث: نوازل الدهر التي تحدث الواحدة تلو الأخرى. وأودى بها: ذهب بها وأبداها وأهلكها وقصد بذلك أنه قد أصيب بالصلع وانحسار شعر الرأس وذلك دليل الكبر والعجز. والشاهد: أودى بها: فإن الحوادث فى معنى الحدثان فليس بمؤنث كما قيل.

(٢) الإنصاف: ٢: ٧٦٣. (٣) شرح المفصل ٥: ٩٨.

(٤) نفسه ٥: ١٠٦.

وسنرى اختلاف لغات العرب فى هذا الشأن .

٥- ويذهب النحاة إلى أن هناك أوزانا يستوي فيها المذكر والمؤنث إذا تقدمها موصوفها وهي :

فَعُول بمعنى فاعل ، ومفعال ، مفعيل ، مفعِل ، وفَعِيل بمعنى مفعول نحو رجل جريح وامرأة جريح وكف خضيب وعين كحيل والمعنى مخضوبة ومكحولة .

وقد خرج عن ذلك قولهم : ملحفة جديدة .

فقال الكوفيون : هي فعيل بمعنى مفعول أي مجلودة .

أما البصريون : فقد قالوا هي بمعنى فاعلة^(١) .

وقال بعضهم بشذوذ هذه الصيغة^(٢) ، والصحيح أنها لغة ، كما سنوضح ذلك فيما بعد .

٦- وقد يؤنث المذكر ويذكر المؤنث فى لغات بعض العرب حملا على المعنى نحو قوله :

ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٍ وَثَلَاثُ ذَوْدٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي (*)

ألحق التاء فى عدده حملا على الأشخاص^(٣) ، والقياس تذكير العدد من ثلاثة إلى عشرة مع المؤنث وتأنيثه مع المذكر^(٤) إلا أن مثل ذلك قد ورد استعمالا لبعض العرب حيث أنث ثلاثة لكثرة إطلاق النفس على الشخص .

(١) شرح المفصل ١٠٢: ٥ ، الهمع ١٧٠: ٢ . شرح التصريح ٢٨٦: ٢ وما بعدها .

(٢) شرح التصريح ٢٨٧: ٢ .

(٣) الإنصاف ٧٧٢: ٢ ، الهمع ١٧٠: ٢ . (٤) الهمع ١٤٨: ٢ .

(*) البيت من شواهد الكتاب ١٧٥: ٢ ، والإنصاف ٧٧١: ٢ ، الخزانة ٣٠١: ٣ ، وقد نسب إلى الخطيئة - ملحقات ديوان الخطيئة : ٢٧٠ .

والذود : اسم جمع يطلق على ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل . وعيالي : يقصد أنه اقتصر وصار ذا عيلة وقد ظلمه الدهر .

والشاهد : تأنيث ثلاثة أنفس وكان القياس التذكير فى العدد بحذف التاء لكنه أنه على معنى النفس وأنها تطلق على الشخص .

ومما حمل فيه اللفظ على المعنى والعكس الجمع واسم الجمع نحو قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ﴿وَقَالَتِ الْاَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤] ﴿وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ [الانعام: ٦٦] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ..﴾ [يوسف: ٣٠] ومنه قول الشاعر:

فَبَكَى بَنَاتِي شَجَوْهْنَ وَزَوْجَتِي (*) .

وقد أول ذلك معظم جمهور النحاة، والظاهر أنه جاء على لغات لبعض العرب حيث يعاملون ما ذكره على معنى الجماعة فى المؤنث وعلى الجمع فى المذكر^(١)، وهو مذهب شائع فى لغة العرب، وسنورد ههنا بعض مظاهر من اختلاف لغات العرب فى هذه الناحية على حسب ما عثرنا عليه من آثار اختلاف هذه اللهجات فى جانب الألفاظ والأسماء وطريقة استعمال العرب لها ابتداء من الإنسان وما يتعلق به ثم ما يليه . . . إلخ .

أولاً - الإنسان وما يتعلق به:

فالإنسان: ذكر باعتبار إطلاقه على المذكر لكنه مؤنث إن أريد به امرأة^(٢) وبعض العرب ذكروا اللسان وربما أثوّه إذا قصدوا به قصد الرسالة أو القصيدة، أما اللسان بعينه: فلم يسمع من العرب إلا مذكراً^(٣).

والضرس: من الأسنان مذكر ما دام له هذا الاسم، قال الفراء: الأنياب والأضراس كلها ذكران، وقال السجستاني ربما أثوّه، وأنكر الأصمعي تأنيثه^(٤).

والعائق من الإنسان: يذكر ويؤنث^(٥) وأنكر بعضهم تأنيثه.

(١) شرح المفصل ٥: ١٠٣، شرح التصريح ١: ٢٨٠.

(٣) أدب الكاتب: ٢٢٧. (٣) المذكر والمؤنث - الفراء ٧٤.

(٤) نفسه - ٨٩، والمذكر والمؤنث - ابن الأنبارى: ١٢٤.

(٥) المذكر والمؤنث - الفراء - ٧٧.

(*) ما ذكر صدر بيت عجزه: والأقربون إلى ثم تصدعوا، ويروى الطاعنون مكان الأقربون، وفى البيت عدة شواهد.

أ- بكى بناتي: حيث لم يصل بالفعل تاء التأنيث مع أنه مسند إلى بناتي وهو مؤنث جمع سلامة وهذا يؤيد مذهب من قال بجواز ذلك فى لغة العرب إذ هو بمعنى الجماعة وهذا مذهب الكوفيين، والبصريون يقولون أن البنين والبنات لم يسلم فيه لفظ الواحد فذكر لما لم يعامله جمع مؤنث سالم.

ب- أن الشاعر قد أتى بالمفعول لأجله معرفة وهذا بخلاف من ذهب إلى تنكيره.

وقال ابن الأنباري: وهذا خطأ منهم فقد نقل عن الفراء أن العاتق: تذكر وتؤنث^(١).

والعنق: مؤنثة في لغة أهل الحجاز يقولون ثلاث أعناق ويصغرونها عنيقة قال: وغيرهم يقولون: هذا عنق ويحقرونه فيقولون: هذا عنق طويل، وأنشد لأبي النجم^(٢) في شَرَطَمِ هَادٍ وَعَنْقٍ عَرَطَلٍ^(*).

وزعم الأصمعي أنه لا يعرف التأنيث في العنق، وذهب أبو زيد إلى أنه يؤنث ويذكر ويرى السجستاني: أن التذكير الغالب عليه^(٣).

والحلق مؤنثة وقد تذكر^(٤).

والليت: مذكر وربما أنث^(٥).

والعلباء: مذكر، وربما أنث إذا ذهب به إلى العصبية في صفحة العنق، وهي في بني أسد، قال الفراء: أنشدني بعض بني أسد^(٦).

حَجَّامُهَا بِشَرَطِهَا عَنِفٌ بِالْقَرْحِ مِنْ عِلْبَائِهَا قُرُوفٌ
يَخْدَرُ مِنْهُ اللَّيْتُ وَالصَّلِيفُ^(**)

واختلف نقل الأئمة حول استعمال العرب للعضد والعجز من حيث تذكيرها أو تأنيثها فبينما ينقل أبو عبيد عن أبي زيد أن تميم تؤنثها، وأن التذكير لغيرهم من العرب^(٧) ينقل عن أبي زيد أن أهل تهامة يؤنثها، وميم تذكرها^(٨).

(٢) المذكر والمؤنث - الفراء - ٧٣.

(٤) نفسه: ٥٥٨.

(٦) المذكر والمؤنث - الفراء - ٧٦.

(١) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٢٠٨.

(٣) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٢٩٢.

(٥) المذكر والمؤنث - الفراء - ٧٦.

(٧) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٢٩٣.

(٨) المصباح المنير: ٢: ٤٩٤.

(*) البيت نسب لأبي النجم العجلي، ويروى: وكاهل ضخم، و«سرطم هاد...» والعرطل: الفاحش الطول المضطرب من كل شيء.

(**) الشعر ورد عند الفراء في المذكر والمؤنث ٧٦، والمذكر والمؤنث - ابن الأنباري ٣٠٥ بدون عزو، والليت ناحية العنق متذبذبة القرط، والعلباء: عصبه صفراء في صفحة العنق، وقروف من قرف: إذا قشر الشيء.

والإبط: يذكر ويؤنث: فمن تأنيثه قول بعض العرب لرجل قد رفع سوطا ليضرب به آخر قد رفع السوط حتى برقت إبطه^(١).

والذراع: مؤنث عندهم بدليل سقوط التاء من عددها كقول حميد الأرقط يصف قوسا عربية:

أَرْمِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعٌ^(*)

والعدد من ثلاثة إلى عشرة يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر مما يدل على أن الذراع مؤنث ههنا، إلا أن بعض بني عكل قد ذكروه، نقل أبو حيان: أن الفراء قد قال: والذراع أنثى وقد ذكر الذراع بعض بني عكل^(٢). والكراع: يذكر ويؤنث^(٣).

والأصابع: إناث كلهن إلا الإبهام فإن العرب على تأنيثها إلا بني أسد أو بعضهم فإنهم يقولون: هذا إبهام والتأنيث أجود وأحب إلينا، كما قال الفراء^(٤). والقفاء والمتن: يذكران ويؤنثان.

والبطن من الإنسان: مذكر، ومن القبائل مؤنث.

والمعى: يذكر، وربما ذهبوا به إلى التأنيث كأنه واحد دل على الجمع^(٥).

والنفس: تذكر وتؤنث باعتبارين، فإن أريد بها معنى الإنسان فهو مذكر، وإن أريد بها الروح فهي مؤنثة.

(١) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ١٠٤.

(*) البيت من قصيدة لحميد بن الأرقط يصف قوسا عربية.

وفرع: أي قوس فرع وهي التي تتخذ من رأس القضيبي. والذراع: من الإنسان من المرفق إلى أطراف الأصابع. والشاهد: ثلاث أذرع... فإن أذرعا جمع ذراع وهي مؤنثة والدليل على تأنيثها سقوط التاء من عددها نحو ثلاث.

(٢) شرح التسهيل ٣: ١٧٤، المذكر والمؤنث - ٧٧.

(٣) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣٠١.

(٤) المذكر والمؤنث - الفراء - ٧٨، ومختصر المذكر والمؤنث - المفضل - ٥٣.

(٥) نفسه ٧٩، ١٠٣، ٧٥.

وحال الإنسان: مؤنث عند العرب، وأهل الحجاز يذكرونها وربما قالوا فيها حالة بالهاء^(١)، قال الشاعر:

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ لَظَنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمًا^(*)
وشكك بعضهم في رواية البيت، وقالوا: بتحريف الرواية^(٢)، وذكروا وأنثوا - طباع الإنسان - والتأنيث فيه أكثر.

وذكروا وأنثوا -خيال الإنسان- والتذكير أغلب عليه.

وذكروا وأنثوا -قفا الإنسان- والتذكير فيه غالب^(٣).

ونقل عن أهل نجد وسائر العرب أنهم يقولون: فلانة زوجة فلان، أما الحجازيون فكانوا يقولون: فلان زوج فلانة وفلانة زوج فلان، قال الفراء: وهو أقل من «زوجة» ولغة الحجاز أفصح عند العلماء^(٤) فقد نزل بها القرآن ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقال ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] قال ابن الأنباري: وأنشد لعبد بن الطيب:

فَبَكَى بَنَاتِي شَجْوَهُنَّ وَزَوْجَتِي وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيَّ ثُمَّ تَصَدَّعُوا^(**)
وأنشدوا للفرزدق:

وإِنَّ الَّذِي يَمْشِي يُحَرِّشُ زَوْجَتِي كَمَا شِئْتُ إِلَى أَسَدٍ الشَّرَى يَسْتَشِيرُهَا^(***)

(١) المذكر والمؤنث -ابن الأنباري- ٣٠٦، ٣٠٧.

(٢) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري: ٣٠٧

(٣) نفسه ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٨٦.

(٤) المذكر والمؤنث - الفراء - ٩٥، ١٠٨.

(*) البيت من قصيدة نسبت للفرزدق وقبله:

فَلَمَّا تَصَافَنَا الْأَدَاوَةُ أَجْهَشْتُ إِلَى غَضْضُونَ الْعَنْبَرِي الْجَرَاظِمِ
وظن: يخل. وحاتم: هو حاتم الطائي المشهور بكرمه.

والشاهد: حالة: حيث أنث الحال بدليل لحاق تاء التأنيث له، وفي البيت شاهد آخر وهو قوله حاتم حيث جره على البدل من الضمير المتصل في جوده.

(**) البيت لعبد بن الطيب. والشجو: الحزن، وتصدعوا: تفرقوا.

والشاهد: في زوجتي: حيث أنثه بإلحاق لفظ «الزوج» التاء وهي لغة لأهل نجد وسائر العرب، بخلاف لغة أهل الحجاز «زوج» في التذكير والتأنيث، وهذا وإن كان أفصح إلا أن الأول أشيع وأكثر.

(***) البيت رأيته في ديوان الفرزدق ص ٦١، وهو برواية أخرى غير هذه: وهي:

وقال ذو الرمة :

أَذُو زَوْجَةٍ بِالْمِصْرِ أَمْ فِي خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بِالْبَصْرَةِ الْعَامَ ثَاوِيًا (*)

وقال آخر :

مَنْ مَنَزَلِي قَدْ أَخْرَجَتْنِي زَوْجَتِي تَهَرُّ فِي وَجْهِي هَرِيرَ الْكَلْبَةِ (**)

ولكثره هذه اللغة فى مقابل «زوج» وجدت فى لسان بعض الحجازيين، وصار أهل مكة والمدينة يتكلمون بها.

وقد أنكر الأصمعى هذا الكثير، وقال: هي زوج لا غير وجعلها الفيروزأبادي: لغة رديئة^(١).

والعرس: يذكر ويؤنث.

والصهر: يذكر ويؤنث: نقل عن الفراء قوله: قال بعض العرب: بيننا صهر فنحن نرعاها، فأنثها^(٢).

والهدى: يذكر ويؤنث، والتأنيث لبني أسد إذ يقولون: هذه هدى حسنة^(٣). وسمع من أهل اليمن من يؤنث لفظ «الكتاب» الذى يكتبه الشخص ويرسله، قال أبو عمرو: سمعت أعرابيا يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت: أتقول: جاءته؟ فقال: أليس بصحيفة^(٤).

= فإن امرأ يسعى يخيب زوجتى كساع إلى أسد الشرى يستبيلها ومعنى يخيب: أى يفسد، ويستبيلها: يأخذ بولها، ويقصد بالسعاية هنا هو المشي بالنميمة، وحرش: من التحريش الإغراء لقصد الفساد، وأسد الشرى: موضع تنسب إليه الأسود الشجعان، والشاهد فيه: كالذي قبله.

(١) المذكر والمؤنث -ابن الأنبارى - ٣٨١. (٢) المذكر والمؤنث -ابن الأنبارى - ٣٨٦.

(٣) مختصر المذكر والمؤنث: المفصل بن سلمة - ٥٦.

(٤) الخصائص: ١: ٢٤٩، الهمع ٢: ١٧٠.

(*) البيت نسب إلى ذى الرمة -ديوانه: ٦٥٣.

والمصر: كل كورة يقسم فيها الفيء والصدقات، والبصرة: بلد معروفة. وثاوي: أي مقيما. والشاهد فيه كالذي قبله.

(**) البيت لم ينسب إلى أحد. وتهر: تصوت، وهريز الكلبة: صوتها وهو دون النباح والشاهد فيه قوله: أخرجتني... زوجتي... على ما أوضحنا.

ويقال: ملحفة خلق بغيرهاء، قال الفراء: وبعض قيس يقولون خلقة وجديدة، ولم يجز ابن السكيت جديدة ولا خلقة قال: وإذا كان فعيل نعتا لمؤنث وهو في تأويل مفعول كان بغير هاء نحو: لحية دهين لأنها في تأويل مدهونة^(١).

وقوله هذا هو الذي لا يجوز، ما دام قد ثبت بنقل الأئمة على أنها لغة لقوم معروفين من العرب.

والسراويل: تذكر وتؤنث، نقل ذلك عن البصريين، قالوا: يقال: هو السراويل وهي السراويل^(٢).

والإزار: يذكر ويؤنث.

والسلطان يذكر ويؤنث، قال السجستاني: سمعت من أئق بفصاحته يقول: أتنا سلطان جائرة، وقال يعقوب: التأنيث أكثر عند الفصحاء.

والملك: يذكر ويؤنث.

والمال: يذكر ويؤنث، ومثله: الأسد^(٣).

والسلم، والسلم: بمعنى الصلح: يذكران ويؤنثان، ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿وَأِنْ جَنَّحُوا لِلْإِسْلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

قال الفراء: إن شئت جعلت الهاء للسلم، وإن شئت جعلتها لتأنيث الفعلة، كما تقول للرجل يعق أباه: لا تصلح بعدها أبداً، تريد الفعلة، وقد نقل التذكير عن الطوسي وأبي عبيد^(٤).

ثانياً- الحيوانات والطيور والحشرات؛

أ- وهنا نجدهم -مثلاً- يؤنثون ويذكرون النعم.

قال أبو عبيد قال الكسائي: يذكر ويؤنث.

(١) المذكر والمؤنث -ابن الأثير- ٤٥٧.

(٢) نفسه: ٣١٣.

(٣) المذكر والمؤنث -ابن الأثير- ٣٦٣، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٤٠، ٤٣٥.

(٤) المذكر والمؤنث -الفراء- ٨٤، والمذكر والمؤنث لابن الأثير: ٣٦٠.

ونقل عن يونس والأخفش أن العرب تذكر وتؤنث الأنعام فيقولون: هو الأنعام وهي الأنعام وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: ٦٦] فذكر، وقال: (مِمَّا فِي بُطُونِهَا) فأنث.

وحول تذكير الهاء من الآية الكريمة وقع الخلاف بين النحاة فقد ذهب الكسائي إلى أنه إنما ذكر على معنى مما في بطون ما ذكرنا، واحتج بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [عبس: ١٠ - ١١] على معنى فمن شاء ذكر ما ذكرنا. وقال الفراء: ذكر الهاء لأنه ذهب إلى معنى النعم، لأن النعم والأنعام بمعنى. وقال يونس والأخفش ذكر الهاء في موضع وأنثها في آخر. لأن الأنعام تذكر وتؤنث.

وقال أبو عبيدة ذكر الهاء لأنه ذهب إلى البعض، كأنه قال: (نُسْقِيكُمْ فِي بُطُونِ أَيُّهَا كَانَ ذَاتَ لَبَنٍ) لأنه ليس لكلها لبن، حكى ذلك أبو عبيد عن أبي عبيدة. وأنكر السجستاني على أبي الحسن الأخفش وعلى يونس قولهما الأنعام تذكر وتؤنث، قال: تذكير الأنعام لا يعرف في الكلام، ولكن إن ذهب إلى النعم فجائز^(١).

واختلف الحجازيون والتميميون حول اسم الجنس الجمعي، فذهب الحجازيون إلى أن الجنس المميز واحده بالهاء يؤنث، وربما ذكره بعضهم وإن كان التأنيث أغلب عليه.

أما غيرهم -من التميميين والنجديين- فقد أجمعوا على تذكيره، وربما أنثوه، والتذكير أغلب عليهم، ويقصد بالجنس هنا ما يقع على القليل والكثير ويفرق بين جمعه وبين واحده بالتاء^(٢)، ويشمل أشياء كثيرة منها -البقر- وسيأتي الحديث عن الباقي في مواضعها.

فبالنسبة إلى البقر: فقد جاء مذكراً في اللغة الفصيحة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠] وهي قراءة الجمهور على أن تشابه فعل ماض على وزن

(١) المذكر والمؤنث -ابن الأنباري- ٣٤٦.

(٢) المذكر والمؤنث -الفراء- ١٠١، التسهيل: ٢٥٤.

تفاعل مسند لضمير البقر على أنه مذكر، وقد جاء مؤنثا في قراءة الحسن: تشابه بضم الهاء جعله مضارعاً فحذف التاء وماضيته «تشابه» وفيه ضمير يعود على البقر على أنه مؤنث، وهي قراءة الأعرج إلا أنه شدد الشين على أنه «تشابه».

ومن الواضح في ذلك قراءة أبي: «إن البقر تشابهت» وهي قراءة ابن أبي إسحق إلا أنه شدد الشين^(١).

وكل هذه القراءات التي جاءت بالتأنيث إنما أتت على لغة بعض الحجازيين، والقرآن قد مال إلى اللغة الفصحى العالية.

والبعير: يقع على المذكر والمؤنث، حكى الأصمعي عن بعض العرب: شربت من لبن بعيري: وصرعتني بعيري.

وقال الأصمعي: هو بمنزلة الإنسان يقال: هذا بعير وهذه بعيري^(٢).

والشاة: مذكر ومؤنث، وكذا الشاء، والهمزة فيها بدل من الهاء^(٣).

والأرنب: يذكر ويؤنث فيقال: هذا أرنب وهي أرنب^(٤).

والفرس: يذكر ويؤنث، فهو فرس وهي فرس^(٥).

ب- والذكر من الطير يقال له: طائر، وللأنثى بغير هاء، والتأنيث أكثر وأجود.

وقال الكربنائي: قال يونس: يقول بعض العرب: هذا طائر حسن، وهذه حسنة، قال: وهي قليلة في كلام العرب^(٦).

والحمامة: تذكر وتؤنث^(٧).

والغراب: يذكر ويؤنث فيقال: غراب، وغرابة^(٨).

(١) البحر ١: ٢٥٤.

(٢) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٩٧.

(٣) نفسه ٣٤٩، ٥٥٥.

(٥) نفسه: ٨٨.

(٤) المذكر والمؤنث - الفراء - ١٠٠.

(٧) نفسه: ٥٥٠.

(٦) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ١١٩.

(٨) المذكر والمؤنث - الفراء - ١٢٤.

ج- ونجدهم يؤثنون ويذكرون العنكبوت، والتأنيث أكثر، قال الله عز وجل:
﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١].

قال الفراء: وأنشدني بعضهم^(١):
عَلَى هَظَّالِهِمْ مِنْهُمْ يُّوتُ كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْتَنَاهَا(*)
والجراد: تذكر وتؤنث، وكذا الغوغاء منه^(٢).

ويقال للذكر من الخنافس: خنفس، وللأنثى خنفساء وقال الكربنائي: قال أبو زيد: قال العقيليون: هذا خنفس ذكر للواحد والخنفس للكثير، وقال أيضاً: قال يونس: بنو أسد يقولون في تأنيث خنفساء خنفسة^(٣).

والقمل، والنمل ونحوهما: اسم جنس يفرق بين جمعه وبين واحده بالهاء. وقد تحدثنا عن ذلك -وبناء عليه فهو يؤنث على لغة معظم الحجازيين، ولكنه يذكر على لغة معظم النجديين والتميميين.

وبالتأنيث في لفظ «نملة» جاء قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ [النمل: ١٨] وفي الجمع في لفظ «النحل» جاء قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهِنَّ﴾ [النحل: ٦٨]...

وبالتذكير أيضاً في جمع لفظ «النمل» قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ﴾ [النمل: ١٨]...

ولا يدل تأنيثه أو تذكيره في اللفظ على تأنيث أو تذكير حقيقة لأن التاء قد دخلت في «قالت» للفرق لا دلالة على التأنيث الحقيقي بل دالة على الواحد من

(١) المذكر والمؤنث -ابن الأنباري- ٣٢٠، والمذكر والمؤنث -الفراء- ١٠٢.

(٢) المذكر والمؤنث -ابن الأنباري- ٤٣٨، ٤٤٠.

(٣) نفسه: ١١٩.

(*) البيت من شواهد معاني القرآن ٢: ٣١٧، الخزانة ٢: ٣٢٢. ولم ينسب إلى أحد. والهطال: جبل.

والشاهد في: العنكبوت هو ابتناها... حيث ذكره الشاعر لما أعاد إليه الضمير «هو» مذكراً، وقد تؤنث، وبها ورد القرآن الكريم.

هذا الجنس فيخبر عنها إخبار المؤنث وإن كانت تطلق على الأنثى والذكر إذ هو مما لا يتميز فيه أحد هذين، فتذكيره وتأنيثه لا يعلم ذلك من إلحاق العلامة للفعل، ولعل من التأنيث في جمع النمل قراءة أبي: ادخلن مساكنكن^(١).

والعقرب: مذكر ومؤنث، فهو عقرب وهي عقرب^(٢).

والحية: تذكر وتؤنث^(٣).

ثالثاً- النباتات والطعام..

وفي مجال النبات نجد أن النخل -مثلاً- اسم جنس جمعي يفرق بين واحده وبين جمعه بطرح الهاء -وقد سبق ذلك- وعليه فالنخل: وجد مذكراً في لغة تميم وأهل نجد عامة لكنه مؤنث في لغة أهل الحجاز^(٤)، وفي القرآن اللغتان قال تعالى: ﴿نَخْلٌ مُنْقَعِرٌ﴾ [القمر: ٢٠] وقال تعالى: ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]^(٥).

قال أبو حيان: والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث^(٦).

وبالتذكير ورد قول امرئ القيس:

وَحَدَّثَ بَأْنَ زَالَتْ بِلَيْلٍ حُمُولُهُمْ كَنَخْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرِ مُنْبِقٍ^(*)

وقال العبدى:

وَالنَّخْلُ بَاطِنُهُ خَيْلٌ وَظَاهِرُهُ خَيْلٌ تَكْدَسُ الْفُرْسَانُ كَالنَّعَمِ^(**)

(١) البحر: ٧: ٦١.

(٢) المذكر والمؤنث -الفراء- ١٠٠.

(٣) المذكر والمؤنث -ابن الأنباري- ٤٣٩.

(٤) المذكر والمؤنث -الفراء- ١٠١، التسهيل: ٢٥٤.

(٥) المذكر والمؤنث -ابن الأنباري- ٥٤٧.

(٦) البحر ٨: ١٧٩، شرح الكافية ٢: ١٦٢.

(*) نسب البيت إلى امرئ القيس -ديوانه: ١٦٨.

وحمول: جمع حمل وهو ما يحمل على الظهر ونحوه. والأعراض: بلد. وغير منبق: غير ممدود على سطر واحد، أى متفرقة.

(**) البيت من شواهد المذكر والمؤنث -ابن الأنباري- ص ٥٤٦. قد نسبه إلى الممزق العبدى. وتكدس:

معناه: اجتمعت الفرسان وركب بعضهم بعضاً من كثرة الاجتماع مبالغة.

وقال زهير في التأنيث:

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(*)

وقال أبو هفان: أنشدني مصعب الزبيري لأيوب بن عباية الأسلمي في تأنيث النخل.

وَمَا أَعْقَدَ النَّاسُ مِنْ عُقْدَةٍ سِوَى النَّخْلِ يُغْرَسُ مِنْهَا الْفَسِيلُ^(**)

وكذلك: أنث الحجازيون البسر والشعير والتمر والبر^(١)، بينما ذكر هذه الألفاظ التميميون والنجديون:

رابعاً - أما يتصل بالشراب:

فقد نقلوا: إن الخمر مؤنث وقد ورد مذكراً أيضاً والتأنيث عليها أغلب^(٢)، والدليل على تذكيرها ما قاله ذو الرمة:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ: كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا يَفْعَلُ الْخَمْرُ^(***)

قال الفراء: هكذا أنشدني بعضهم فاستفهمته فرجع إلى التأنيث فقال: ما تفعل الخمر^(٣)، وقد ذكرها الأعشي فقال:

(١) المذكر والمؤنث - الفراء - ١٠١، المزهر ٢: ٢٧٧.

(٢) المخصص: ١٧: ١٩.

(٣) المذكر والمؤنث - الفراء - ٨٣.

(*) البيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى يمدح فيها هرم بن سنان بن أبي حارثة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري. الديوان: ٩٦ وما بعدها. والخطي: الرماح نسبها إلى الخط وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح.

والوشيج: القنا واحدها وشيجة والوشوج دخول الشيء بعضه في بعض.

(**) البيت من شواهد المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٥٤٨.

وَأَعْقَدَ: أي ثبت وقوى وصلب، ويقال اعتقد فلان عقدة: إذا اشترى ضيعة أو اتخذ مالا من عقار وغيره. والفسيل: الودي.

(***) نسب البيت إلى ذي الرمة - ديوانه: ٢١٣ - ط كلية كمبريج.

والألباب: العقول. والخمر: اسم لكل ما خامر العقل أي غطاه.

والشاهد في قوله: ما يفعل الخمر... حيث ذكر الشاعر الفعل مما يدل على اعتباره إياها مذكراً، وهناك من يؤنثه. قال الأصمعي: والخمر أنثى وأنكر التذكير.

وَكَانَ الْخَمْرَ الْعَتِيقَ مِنَ الْإِسْفَنْطِ مَمْزُوجَةً بِمَاءٍ زُلَالٍ(*)

فقال: العتيق ثم رجع إلى التأنيث فقال: ممزوجة، وقد يكون أن تلقى الهاء تشبيهاً بكف خضيب وعين كحيل ولحية دهن لأنها معتقة فهي مفعول بها في الأصل كما تقول: معقد، وعقيد.

ونقل عن العرب تذكيرهم وتأنيثهم للعسل.

وبنو أسد خاصة يلحقون مؤنث «فعلى» التاء بينما ورد من جميع العرب أنهم يخلونه من علامة التأنيث فيقولون: في سكران -مثلاً- سكرانة، وفي عطشان: عطشانة، وفي ريان: ريانة. إلى نظائر ذلك فحملوا هذه الصيغة على قولهم: رجل خمصان، وامرأة خمصانة، ورجل موتان وامرأة موتانة^(١).

ومذهب سائر العرب -غير بني أسد- أن يقولوا: سكرى وعطشى وريا. . . . ولعل بني أسد قد استغنوا في باب سكران عن فعلى بفعلانة^(٢).

وفي مجال الأواني والأدوات.

نجد أن بعض القبائل العربية قد خالفت فيها الاستعمال اللغوي العام عند بقية العرب، القدر: أنثى، وبعض قيس يذكرها^(٣)، وعليه قوله:

بِقِدْرِ يَأْخُذُ الْأَعْضَاءَ تَمًّا بِحَلَقَتِهِ وَيَلْتَهُمُ الْفَقَارُ(**)

(١) المذكر والمؤنث -الفراء- ٨٢، المذكر والمؤنث -ابن الأنباري: ٣١٨.

(٢) شرح المفصل ١: ٦٧، الكواكب الدرية: ٤٩.

(٣) شرح التسهيل: ٣: ١٦٥، التسهيل ٢١٨.

(*) البيت للأعشى ميمون بن قيس من قصيدة له مطلعها:

مَا بَكَاءَ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي وَهَلْ تَرُدُّ سُسُؤَالِي؟

دمنة قفرة تعاورها الصيف بريحين من صبا وشمال.

وممزوجة: مخلوطة، والإسفنط: الخمرة المعتقة -الديوان ٢٤.

(**) لم ينسب إلى قائل معين.

وقد أورد ابن سيده ١٧: ١٦. وتما: أي كاملة. الفقارا: الظهر والمعنى: مدح قدر هؤلاء القوم بالكبر

والسعة مما يدل على كرم أهلها.

والشاهد: في يأخذ، ويلتهم: فقد ذكر الشاعر الفعلين اللذين يحملان ضميرين للقدر مما يدل على أنه

عاملهما معاملة المذكر.

وقد ورد تأنيثه في قول تميم بن مقبل:

وَقَدِرْ كَكَفِّ الْقِرْدِ لَا مُسْتَعِيرَهَا يُعَارُ وَلَا مَنْ يَأْتِيهَا يَتَدَسَّمُ(*)

والعرب تقول: الطسة، وقد يقال لها الطس بغير الهاء وهي في الوجهين مؤنثة وبعض أهل اليمن يقول: طست بالتاء، فيؤنث^(١).

هَرِقْ لَهَا مِنْ قَرَقَرَى ذَنْبًا إِنَّ الذَّنْبَ يَنْفَعُ الْمَغْلُوبَا(**)
وقال آخر:

عَلَى حِينٍ مَنْ تَلَبَّثَ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ يَجِدُ فَقْدَهَا وَفِي الْمَقَامِ تَدَاثُرٌ(***)
والدلو: يذكر ويؤنث، إذا أريد بها التي يستقى بها^(٢).

والصاع: يؤنثه أهل الحجاز ويجمعونه من ثلاثة إلى عشرة أصوع، ويجمعون الكثير على الصيعان^(٣).

قال الفراء: وأسد وأهل نجد يذكرونه ويجمعونه أصوعاً قال: وربما أنثها بعض بني أسد^(٤).

(١) المذكر والمؤنث - الفراء - ٩٤، المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣١٦.

(٢) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري: ٤٣٨.

(٣) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣٥٦.

(٤) المذكر والمؤنث - الفراء - ٩٦.

(*) البيت من شواهد الكتاب ١: ٤٤١.

وقد هجا بقوله هذا قومًا فجعل قدرهم في ضالّتها ككف القرد، كما أنهم يضمنون بها على المستعير فارغة ولا يجد طالب القرى فيها ما يتدسم به، وذلك للؤمهم وبخلهم.

والشاهد: في قدر... مستعيرها... حيث أعاد الضمير على القدر مؤنثا.

(**) نسب البيت لأبي ثروان. وهرق: أصلها: أرق فقلبت الهمزة هاء على لغة لبعض العرب. ومعناه صبه وأسكبه. والذنوب: الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء.

والشاهد في قوله: الذنوب ينفع... حيث ذكرها الشاعر بدليل تذكير الفعل وعود الضمير من ينفع مذكراً، وقد تؤنث... الفراء - ٩١.

(***) البيت للبيرد بن ربيعة العامري - الديوان: ٢١٧ - ط - الكويت.

والتدائر: التزاحم وأصله من الدثر وهو الماء الكثير. والمقام: المجلس الذي جمعهم للخصام،

والشاهد في قوله: ذنوبه... فقدها... حيث أنث الشاعر بدليل عود الضمير في فقدها مؤنثا.

ومثله الصواع: يذكر عند قوم ويؤنث عند آخرين ومن التذكير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢]، ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرِجْهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ وأنكر ذلك أبو عبيدة، ويرى أن التذكير والتأنيث إنما اجتماعاً لأنه سمي باسمين أحدهما مذكر والآخر مؤنث.

المذكر الصواع، والمؤنث السقاية^(١).

وفى مجال المعادن:

فإن الذهب مؤنث عند الحجازيين، وهو مذكر عند بقية العرب^(٢).

ووجدناهم يذكرون السلاح ويؤنثونه فقد نقلوا عن بعض بني دبير أنهم يقولون: إنما سمي جدنا دبيراً لأن السلاح أدبرته^(٣)، وقد حكى تذكير السلاح وتأنيثه الكسائي والفراء وأبو عبيد ويعقوب وأبي زيد^(٤).

ودرع الحديد: يذكر ويؤنث حكى ذلك عن اللحياني.

قال الفراء: درع الحديد أنثى، وقال السجستاني: هو أنثى وقد ذكر قوم فصحاء من بني تميم الدرع، قال والتأنيث الغالب المعروف، والتذكير أقلهما وهو معروف^(٥).

والسكين: تذكر وتؤنث، حكى ذلك عن اللحياني^(٦).

والفراء يرى تأنيثه في الشعر فقط^(٧).

والموسى: تذكر وتؤنث فيقال: هو موسى، وهي الموسى^(٨).

والقنا: يذكر ويؤنث^(٩).

(١) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣٥٧ وما بعدها.

(٢) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣٣٩ - المصباح المنير ١: ٢٥٠.

(٣) المذكر والمؤنث - الفراء - ٩٩.

(٤) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣٤٩. (٥) نفسه: ٣٥٠.

(٦) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣١٤.

(٧) المذكر والمؤنث - الفراء - ٩٦.

(٨) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣٢٨. (٩) نفسه: ٥٥٩.

في مجال الأمكنة والأزمنة:

نراهم: ذكروا وأنشوا منى فقالوا: هو منى وهى منى .

وأنشدوا للعرجي فى تأنيثها:

لَيَوْمُنَا بِمِنَى إِذَا نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرُ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرْجِ أَوْ مَلَكِ (*)

وأنشد لأبي دهل الجمحي في تذكيره:

سَقَى مِنِّى ثُمَّ رَوَّاهُ وَسَاكِنُهُ وَمَنْ ثَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَدْقِ مُنْبَعِ (**)

ويرى الفراء أن الغالب على منى التذكير والإجراء.

وحراء: الغالب عليه التذكير والإجراء، وربما أنه بعض العرب.

وقباء وأصاخ: يذكran ويؤنثان، فمن ذكرهما أجراهما ومن أنثهما لم يجرحهما.

والقليب: يذكر ويؤنث، والتأنيث لغة.

وهجر: قال فيها الفراء: الغالب عليها التذكير والإجراء وربما أنشوها ولم

يجروها قال الفرزدق^(١).

جَاءُوا عَلَى الرِّيحِ أَوْ طَارُوا بِأَجْنَحَةٍ سَارُوا ثَلَاثًا إِلَى يَبْرِينَ مِنْ هَجْرًا (***)

أَمِّي هَلَّا صَبَرَتِ النَّفْسَ إِذْ جَزَعَتْ فَتُبِّلَى اللَّهُ صَبْرًا مِثْلَ مَنْ صَبَّرَا

وفلج وحجر اليمامة: الغالب عليها التذكير، وكل ما ذكر من أسماء البلدان

أجري وكل ما أنث لم يجر.

(١) المذكر والمؤنث- ابن الأنباري- ٤٧٩، ٤٦٨، ٣٣٥، ٤٦٧.

(*) البيت من شعر العرجي وقد رأيته في ديوانه ١٩١ تحقيق- رشيد العبيدي- ط- بغداد. وملل: قيل: هو موضع في طريق مكة بين الحرمين، وذكر ابن السكيت أنه منزل على طريق مكة إلى المدينة على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة ويروي: نسكنها بدل نزلها.

(**) البيت قد نسب لأبي دهل الجمحي- الديوان: ٦٣.

ومنى: جبل معروف بمكة، وقد صار الآن موضعا. وثوى: أقام. وواهي الودق: أن ينبثق المطر انبثاقا شديدا. والمنبعق: المطر يفاجئ بوابله.

(***) البيتان من شواهد المذكر والمؤنث- ابن الأنباري- ٤٦٧- وقد نسبهما إلى الفرزدق وليس في ديوانه. ويبرين: قيل: بأعلى بلاد بني سعد، وهو رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة. وجزعت: من الجزع: وهو ضد الصبر.

ويرى السجستاني: أن حجر اليمامة يذكر ويصرف، وبعض العرب يؤنث ولا يصرف، قال وفليح: مذكر على كل حال كذلك سمع من العرب.

وعمان: الغالب عليها التأنيث وترك الإجراء.

وفارس: الغالب عليها التأنيث وترك الإجراء^(١).

قال الشاعر:

لَقَدْ عَلِمْتُ أَبْنَاءُ فَارِسٍ أَنَّنِي عَلَى عَرَبِيَّاتِ النِّسَاءِ غَيُورٌ^(*)

ودابق: يذكر ويؤنث.

وبغداد: تذكر وتؤنث وفيها ثلاث لغات:

بغداد، بغداد، بغداد.

والحانوت: يذكر ويؤنث.

والفردوس: يذكر ويؤنث.

والجحيم: يذكر ويؤنث، إن أريد بها النار بعينها.

والركبة: مؤنثة بحرف التأنيث، قال الفراء: فإذا قالوا: الركي ذهبوا به الكثير، قال: ورأيت بعض بني تميم وسقط ابن له في بئر فقال: والله ما أخطأ الركي فوحد بطرح الهاء كأنه ذهب به إلى التذكير على أنه اسم للجمع وهو موحد.

وأنث الحجازيون لفظ السوق، بينما ذكرها بنو تميم، والتأنيث أغلب عند الفصحاء لأنهم يصغرونها على سويقة، ويقال: سوق نافقة^(٢).

والأضحى: يذكر ويؤنث، قال الأصمعي: من ذكر ذهب إلى العيد، وقال الفراء: من ذكر ذهب إلى اليوم. وأنشد للمفضل:

(١) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري: ٤٦٨، ٤٦٦.

(٢) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٤٧٣، ٣٧٥، ٣٢٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٢٧، ٣٥٤.

(*) البيت قد نسب لمزاحم العقيلي. وهو من شواهد المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٤٦٦. وغيور: من غار الرجل على أهله والمرأة على بعلها فهي غيور وهو غيور: وهي الحمية والأنفة. وفارس بلد. والنسب إليه فارسي.

رَأَيْتُكُمْ بَنِي الْخَنُوزَاءِ لَمَّا دَنَا الْأَصْحَى وَصَلَّتِ اللَّحَامُ
تَوَلَّيْتُمْ بَوْدُكُمْ وَقُلْتُمْ لَعَكُ مِنْكَ أَقْرَبُ أَوْ جَذَامُ(*)

والأيام: مؤنثة، وقد تذكر على معنى الحين والزمان والتأنيث هو الغالب عليها كقولك أيام شريفة وعظيمة^(١).

أما أيام الأسبوع: فإن السبت والأحد والخميس مذكورة، إذا قصدت بها قصد الأيام فيقال مضى السبت بما فيه، وكذا الأحد والخميس.

وإذا قصد بها قصد يوم الجمعة أثنت فيقال: مضى السبت بما فيهن على معنى مضت الأيام بما فيهن.

أما الاثنان: فالتذكير لمعناه، وقد يؤنث على معنى الجمع فيقال مضى الاثنان بما فيهن على معنى الأيام.

أما الثلاثاء والأربعاء والجمعة: فتذكر إن ذهب بها إلى معنى اليوم، وقد تؤنث إن ذهب بها إلى اللفظ^(٢).

وسرى الليل: مؤنثة، وقال السجستاني: تذكر وتؤنث، وقال: سمعت من أعراب بني تميم من ينشد:

إِنَّ سُرَى اللَّيْلِ حَرَامٌ لَا تَحِلُّ(**)

أسماء القبائل:

وهي مؤنثة فتقول: هذه تميم، ومضر، وقيس

(١) المذكر والمؤنث - ابن الأثيري - ٢٢٢.

(٢) المذكر والمؤنث - ابن الأثيري - ٢٢٠ وما بعدها.

(*) البيتان رواهما أبو زيد في النوادر ١٥٢ رواية عن أبي الغول، ووردت في المذكر والمؤنث للفراء ٨٢ ونقلهما عنه ابن الأثيري في كتابه المذكر والمؤنث ٢١٨ ولم يعزهما أحد من هؤلاء إلى أحد.

والمعنى: أنكم لما كانت اللحوم قليلة كنتم أصدقائي، ولما أثنت لكثرتها أعرضتم عني.

(**) البيت من شواهد ابن الأثيري في المذكر والمؤنث - ٣٢٣ - وقد أشده نقلاً عن السجستاني ولم ينسبه إلى أحد معروف.

وسرى الليل: هو السير في الليل وليس النهار بخلاف السير فإنه يكون في الليل والنهار. وتحل: بكسر الحاء حلا خلاف حرم.

والخلاف بين النحاة فى إجراء أو عدم إجراء بعض أسماء القبائل فى نحو تميم وأسد يجوز إجراؤه وعدم إجرائه، فمن أجراه احتج بأنه اسم معروف مذكر سميت القبيلة به فأجرى لذلك وإن كان مذكراً، ومن لم يجره قال هو اسم للقبيلة فمنعه الإجراء للتعريف والتأنيث.

وعاد وتبع: يذكران ويؤنثان، فمن ذكره قال: هو اسم للحي ومن أنثه قال هو اسم للأمة.

وسبا: يذكر ويؤنث، ومن ذكره أجراه ومن أنثه لم يجره^(١).

وفي السماء والأرض وما بينهما:

نجدهم ذكروا وأنثوا لفظ السماء وإن كان التذكير قليلاً. كأنهما جمع سماوة وسماء^(٢). قال أبو حيان: السماء مؤنث فى لغة أهل الحجاز ويذكر عند أهل نجد^(٣). ومن التذكير قوله عز وجل ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [لزمل: ١٨] فذكر. قال الشاعر:

فَلَوْ وَقَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْماً
وإن قصدوا بالسماء المطر فهي مؤنثة^(٤).

وذكروا وأنثوا الآل: الذي يلمع بالضحى يشبه السراب، والتذكير أجود، ونقل تذكيره وتأنيثه عن اللحياني ويعقوب^(٥).

والرياح: كلها إناث، وفي التنزيل ﴿بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] فإن أريد بها معنى الأرج والنشر وهما حركتا الريح فهو مذكر، نقل عن الفراء أنه قال: أنشدني بعض بني أسد:

(١) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤٢.

(٢) المذكر والمؤنث - الفراء - ٢١٢.

(٣) البحر: ١ : ٨٣.

(٤) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٣٦٨.

(٥) نفسه ٣٧٦، المذكر والمؤنث - الفراء - ١٠٦.

(*) البيت لم ينسبه أحد إلى قاتل. والسماء المظلة للأرض. ولحقنا: أي أدركنا. والسحاب معروف قيل وسمي بذلك لانسحابه فى الهواء.

كَمْ مِنْ جُرَابٍ عَظِيمٍ جِئْتَ تَحْمِلُهُ وَدُهْنَةٍ رِيحُهَا يَغْطِي عَلَى التَّفْلِ (*)
 قال: أنشدني عدة من بني أسد كلهم يقول «يغطي» فيذكرونه^(١) وكأنهم اجترؤا
 على ذلك إذا كانت الريح ليس فيها هاء، والعرب تجترئ على تذكير المؤنث إذا لم
 تكن فيه الهاء.

والمسك والعنبر: يذكران ويؤنثان، يقال:

هو المسك وهي المسك، وهو العنبر وهي العنبر.

وأنشد في التذكير للزبير بن عبد المطلب:

فَأَنَا قَدْ خَلَقْنَا مَذْ خَلَقْنَا لَنَا الْحَبْرَاتُ وَالْمِسْكُ الْفَتِيتُ (**)

وأنشد في تذكير العنبر للأعشى:

إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ الْمِسْكُ أَوْنَةٌ وَالْعَنْبَرُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمْلُ (***)

وفي الطريق وأسمائه:

نجد أن الحجازيين يؤنثون الطريق بينما يذكره أهل نجد. والتذكير فيه أكثر من
 التأنيث وبذلك نزل القرآن ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]
 فذكر، وقال تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧].

(١) المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٢١٤. المذكر والمؤنث - الفراء - ٩٧.

(*) الجراب على زنة كتاب ويجمع على أجربة وجرب نحو كتب. وريحها: أي هواؤها ونشرها. ويغطي:
 أي يستر. والتفل: نتانة الريح، وقيل: بل التطيب فهو من الأضداد. والشاهد: يغطي... حيث ذكر
 الشاعر الفعل المسند إلى الريح مما يدل على أنه مذكر والأكثر فيها التأنيث وقد تذكر على معنى الهواء
 وقال ابن الأنباري: الريح مؤنثة لا علامة فيها.

(**) البيت من شواهد المذكر والمؤنث - ابن الأنباري - ٢١٠.

وقد نسب للزبير بن عبد المطلب.

والحبرات: جمع حبرة وهو ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطط.

وفتيت: مأخوذ من الفت: وهو أن تأخذ الشيء بإصبعك فتصيره فتاتاً أي دقاً.

(***) البيت قد رأيته في ديوان الأعشى ١٨- وهو من معلقته المعروفة والتي يقول مطلعها:

ودع هريرة أن الركب ———— وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقد أنشد: أصورة مكان «أونة».

ويضوع: يفوح ويذهب ريحه كذا وكذا، وأونة جمع أوان.

وأردان: جمع ردن: وهي أطراف الأكمام، وشمل أي طيبتها يشتمل.

وقال السجستاني: قوم يؤثنون فيقولون: الطريق الوسطى، والطريق القريبة والبعيدة^(١).

والصراط: مذكر عند بني تميم، وأهل الحجاز يؤثنونه -حكى ذلك أبو جعفر الطوسي^(٢).

أما السبيل: فإنه يؤنث على لغة أهل الحجاز، ويذكر على لغة بني تميم^(٣) أيضاً. وبالتأنيث ورد قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨] فأُنث وبالتذكير جاء قوله عز ذكره: ﴿وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦] وبالتأنيث جاءت قراءة ابن كثير وأبي عمرو في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] بتأنيث الفعل ورفع السبيل على أنه مسند إليه.

وكان عاصم والأعمش وحمزة والكسائي يقرأون ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ﴾ بالياء مع رفع السبيل فيذكرون السبيل قال الشاعر:

فَلَا تَبْعَدُ كُلُّ فَتَى أَنَاسٍ سِيُصْبِحُ سَالِكًا تِلْكَ السَّبِيلَا^(*)
وقال سابق:

يَا نَفْسُ إِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ وَاضِحَةٌ مِئْرَةٌ كَبَيَاضِ الْفَجْرِ غَرَاءُ^(**)

والزقاق: بمعنى السكة مذكر في لغة تميم ولكنه مؤنث في لغة أهل الحجاز^(٤).

(١) المذكر والمؤنث -ابن الأثير- ٣٤١.

(٢) البحر: ١: ٢٥.

(٣) البحر: ١: ٢٥.

(٤) الزهر ٢: ٢٥٥، الصحاح ٤: ١٤٩١.

(*) البيت من شواهد المذكر والمؤنث -ابن الأثير- ٣٢٠.

ولم يعز إلى قائل معروف. وتبعد: تهلك. والفتى: هو بين الفتوة ويقصد به ههنا: طراءة السن، وإلا فإنه إذا أطلق يقصد به: الحرية والكرم. سلك: ذهب وسار.

(**) البيت لم يعز إلى قائل. وهو مذكور في المذكر والمؤنث لابن الأثير- ٣٢٠.

والرشد: نقيض الغي. والفجر: ضوء الصباح وهو حمرة الشمس في سواد الليل.